

عبد عباس المفرجي

رئیس قطار التحدي



دراقة

من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ربيع

العدد (4482) السنة السادسة عشرة -

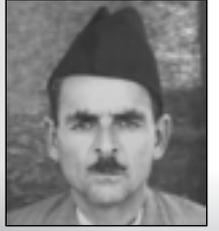
الخميس (1) آب 2019

WWW.almadasupplements.com

6

البراعة

في احتمال الأذى



الذاكرة المضيّعة، ومآثر ماضٍ يقاوم الإنكار والنسيان:

عبد عباس المفرجي ربّان قطار التحدي، شاهد فجيعتنا..!



فخري كريم



العسكريين والدينين الذين جمعهم شعار «يا أعداء الشيوعية اتحدوا»!

في لحظات عودة الأمل تلك، أقدم العسكري الشيوعي الكادح حسن سريع ورفاقه من الجنود وضباط الصف على مغامرتهم الثورية بإعلان انتفاضتهم على سلطة البعث. ومع ان ظروف نجاحها موضوعياً كانت مواتية، إلا أن أخطاء تكتيكية وتردد غير مقصود، كان في مقدمة تلك الأخطاء، وفي مقدمتها عدم إطلاق سراح سجناء السجن رقم واحد حيث الضباط ونخبة المناضلين الصامدين، وكذلك التردد في اعتقال بعض قادة الانقلاب الذين وقعوا اسرى بأيديهم، وضخّ الرأى العام العالمي وعزلة الانقلابيين، تصاعدت نشاطات الشيوعيين واتسع مداها، وتنظيماته، كل تلك الأخطاء كانت وراء أجهاض الانتفاضة وسوق قائدها حسن سريع ورفاقه الى السجن ثم الإعدام.

في أجواء شيوع الخوف والقلق من تحديات أكبر تواجه سلطة الانقلابيين، حيث استطاع جنود وضباط صف من قيادة انتفاضة كانت ان تطيح بالسلطتهم، قام البعث بإجراءات أشد اجرامية في تصفية المعتقلين بالاعتداب أو الإعدام وسوى ذلك من وسائل.

رأس مظاهري عمال السكك عام ١٩٤٨، وهو ما أدى الى فصله ومطاردته من قبل أجهزة الامن والتحقيقات الجنائية.

وتبدّت شجاعته المهنية في مظهر مشهود، عند افتتاح جسر الصرافية من قِبل الوصي على العرش عام ١٩٥٢، إذ كان بين فقرات مراسم الافتتاح عبور القطار على الجسر، وهو ما اقدم على قيادته، بعد تخالل السائق الهندي ورفضه القيام بذلك.

صبيحة ٣ تموز، كنت في مدينة الثورة متخفياً في منزل احد اقاربي، بعد ان انتقلت اليها مع «عائلي الثانية»، عائلة صديقي الاثري جعفر الصفار، اتابع تطورات الموقف، وما ينبغي ان يكون عليه تحركنا، إذ كان احد الرفاق على صلة برفاق العقيد حسن سريع، وفي ظهيرة نك اليوم عاد الرفيق ليخبرني أن الحركة أجهضت، ومع ذلك فإن الأوضاع مضطربة وقادة السلطة في حالة قلق والحرس القومي يبدو عليه الارتباك، لكن علينا أن نأخذ الحذر، وعليك أن تنتقل الى مكان آمن خارج مدينة الثورة، لأن مدامهاث واسعة وستجري فيها. ثم تتالت الاخبار عن المأزق المحيطة التي حاكت «كومونة باريس» وابطالها الذين اجترحوا تلك المعجزة واعادت الى الإنهان مأثرتها، مستمدة ايمانها وجسارتها من طاقة التحدي والجرأة التي تجسدت في بطولات رفاق «كومونة بغداد»، في قصر النهاية ومعقلات البعث الملوث بالجريمة المنظمة.

مساء نك اليوم غارت مدينة الثورة مع العائلة، التي ساعد وجودها معي في السيارة على النفاذ من كمشاتل الحرس القومي الذي كان قد طوق المدينة وسد منافذها، وبادرت بتشبيطها بحثاً عن الشيوعيين والسلاح الذي كان قد وزع على عدد محدود من الرفاق المتأهبين للتحرك مع ساعة الصفر ويوادر نجاح الحركة في مسكر الرشيد.

في تلك الليلة التي نام فيها عبد عباس المفرجي والقلق يظلال ردفته بما عرفه عن الحركة وما ألت اليه، لم يكن على يقين مما تواتر من اخبارها. لكن اعتقال اخيه كان مؤشرا على أن محاولة الانتفاض على نظام القتل قد بدأت بالفشل. وشاء قدره وحظوظ مشام من رفاقه المعتقلين في سجن رقم واحد، أن يأتيه الأمر العاجل بالانتقال الى المحطة، ملثقى تحرك القطارات في الاتجاهات المختلفة، ولم يكن يعرف من حاملي أمر المهمة الجديدة سوى، أن عليه نقل حمولة من الحديد الخاص الى السماوة.

حال وصوله الى المحطة، انتبه الى وجود العديد من المسؤولين العسكريين وحرسهم، ومسؤولين حزبيين، وثلة من الحرس القومي، لكن ما أثار فضوله وشكوكه وجود عبد السلام عارف وطاهر يحيى ورشيد مصليح الكردي ومصطفى الفيكلي وقيادات أخرى.

وعلى خلاف ما كان عليه الوضع في الأيام الاعتيادية، وجد أن العربات جاهزة مغلقة باحكام، وسط حراسة منندة، وعليه ان يقود القطار، كما جاءته الاوامر الى السماوة التي تستغرق الرحلة اليها اعتياديا عشر ساعات، لكن عليه كما جاء في توجيه المسؤول ان يتحرك ببطء وثؤدة، دون اي مراعاة لزمن الرحلة والوصول!

يكتب الروائي و جريدة المدى التي كان يعمل فيها، وهو يصور تلك البطولة للسائق عبد المفرجي، «القطار – ايقونة الوطن..!

عبد عباس المفرجي، ولد عام ١٩١٤ في كراة مريم. بعد عام ١٩٢٢ اكمل دراسته الابتدائية ليصبح مساعداً للسائق قاطرة هنديا وربما انكليزيا، حيث لم يكن هناك سائق قطار عراقي، ليتقدم ويصبح اول سائق للقطار في نهاية ثلاثينيات القرن الماضي في العراق.

وفي مسيرة تكوين وعيه الطمعي، انخرط في النشاط النقابي والوطني. ليصبح من منظمي إضراب عمال السكك الحديد في بداية تأسيسه بدعوة من الحزب الشيوعي. وليسهم في نهاية عام ١٩٤٥ في تهريب عدد من كوادر المؤتمر الاول للحزب في قطار طوروس الى تركيا وكان من بينهم القائد النقابي معروف وصديقه الشخصي عبد تمر.

وظل المفرجي يتابع النشاط النقابي، غير هيّاب بالمخاطر التي قد تتسبب في فقدان عمله أن لم يودى به الى الاعتقال والسجن، فكان على

الإن الشك لازمه بسبب تأكيد المسؤولين بضرورة قيادة القاطرة ببطء شديد. ولم يعرف الحقيقة الا بعد ان جاءه كما يتذكر ابناءؤه «شاب الطريق في الثلاثين من عمره، اثناء توقفه قبل منتصف الطريق في إحدى المحطات»، وقال له «خالي، تعرف ان حمولتك ليست حديدًا، بل بشرًا، هم من افضل ابناء شعبنا»..!

يقول الرفيق فاروق مصطفى رسول في سيرته: لم يكن عبد عباس، يعرف ان في حوزته نعشا في شكل قطار سدت جدرانه ومناذفه وطلبت ارضيته بالزفت، ولما علم بذلك انتفضت قيم الإنسانية والكرامة لديه.

أدرك في تلك اللحظة ان من كانوا في المحطة من مسؤولين وقيادات عليا، خطوا لاعدام «صفوة ابناء العراقيين»، شيئاً، وختفاً، وهي وسيلة لا تتفق الا من اهلشان مشبعة بروح الجريمة والانتقام مجردين من أي مبادئ إنسانية.

وهنا تبدأ مأثرة اقدم سائق قاطرات في العراق، إذ قرر خوض تحد قد يكلفه حياته، لأن عليه ان يقود باقى ما يستطع من سرعة، ففي ذلك فقط بارقة امل قد تنفذ الحشوريين في عربات حديدية غير مبطنّة، محكمة الإغلاق، عارية الا من القار الساخن جدا، وهي تسير تحت اشعة شمس تمزوي حارقة الصراة في الظل تتجاوز ٥٠ درجة مئوية..!

نسي عبد عباس المفرجي، كل المحذورات الفنية، وهو يطلق مكبس سرعة القطارياقصى ما فيها من طاقة الإنزلاق فوق السكك التي تمتد الى السماوة، محطة الخلال والمحجول الذي ينتظره. ولم يعد بعنيه، او حتى يخطر بباله المتعب، سوى بلوغ الحد الاقصى من السرعة، والنقاد وديعة قطاره. ووصل..

يقول القاص حسب الله يحيى:

سائق القطار يتنفس بارتياح وهو يصل قبل الموعد المقرر له بساعات مما جعله يدرج جيدا..

نبل.. ما زالوا احياء.. قالها السائق لنفسه وهو

يقودهم الى الحياة

فكر عبد المفرجي وقد وصل القطار الى محطة السماوة ورأى الحشد المنتظر:

من اين لهذا الجمهور المحتشد من علم بحمولة القطار من البشر، من انه قطار لنقل المشية والحديد والبضائع؟

اي دافع انساني يقف وراء هؤلاء الشيوخ والنساء والأطفال وبحركهم، وهم على اختلافهم يحملون الماء والخبز والفاكهة وكل ما يمكن من حمله، وكأنهم يعرفون أن نك هو زاد انقاذ ارواح من حاول الجمرون اعدامهم خنقا او شيئا؟

استعاد البطل صورة الشباب الثلاثيني وهو يخبره بحقيقة حمولة قطاره بجساره، ودون خوف من العسس الذين يخفون هويتهم الامنية بانقعة فلاحين من الفرات وركاب عادين، وأي جسارة تحرك هذا الحشد في اجواء اشاعة الموت العشوائي من قبل قطعان الحرس القومي. ويفكر، كيف يقول الانقلابيون ان الحزب الشيوعي قد انتهى؟..

سمع وقد استغرق في تساؤلاته، صوتاً يحنر من اعطاء الماء لركاب القطار لأن في نك موتهم المحقق، صرخ وهو يقول: انا الطبيب رافد صبحي اديب، اعرف ما أقول، اسعفوهم بالماء المتبقي بالمخ.

الروائي حيدر حيدر يذكر الحادثة في روايته (وليلة لأعشاب البحر)
«بدأ الحشد المساق داخل الجحيم الى حنقه يتلوى ويترنح ويهوى ويصرخ ويتقيأ، وفي مدار النار ورائحة القار والغثائات التي قدنفثها الاضناء، سمع صوت غريب، غامض، شبيه بدوى رعد او خفقة طائر جارح ينفذ.

توقف القطار في الديوانية المحطة الوسطى بين بغداد والسماوة، كانت ابناء القطار قد تسربت الى شيوعي المدينة قبل الانطالق من العاصمة.

وخلال الاسرحة القصيرة اخبر سائق القطار بالمؤامرة التي يجهلها: قطارك مليء بالمعتقلين الذين سيמותون خلال ساعتين احتقانا اذا ما وصلت هذه السرعة البطيئة.

ولكنني حمل بضائع وركابا، هذا ما قيل لي!

انظر الى حركة الحراس حول القطار وفي

الممرات الخارجية، سرأ دار الحوار بينه وبين رجل غريب لا يعرفه.

قطارك يحمل الف انسان أقللت عليهم المقصورات ليמותوا في الطريق.

كانت حركة الحراس ونظراتهم مريبة، لم ينزل من القطار اي مسافر كما لم يصعد احد، داهم السائق ارتياح وياغته شعور قابض للقلب. أيكون مخدوعا حقاً؟ وهل غرروا به ليحتلم زهق هذه ارواح البشرية، المحاصرة في قطاره؟

كان الرجل الذي انفرده به منفعلا يرتعش وهو يرجوه ان يصعد الى القطار ويسرع قبل ان تل الكارثة، لقد اقسم له بالله ورسوله وكتابه احد صادق، وسيبتدك من الامر فيما بعد، صدقني، اكثر من الف روح انسانية بين يديك، بالامكان ان تنقدهم اذا ما اسرعت، انها عملية اغتيال ان يتأكد ان يسمح صوتا او جلبة داخل المقاصير المغلقة، باغاثه رجل لا يعرفه: ابتعد من هنا..

بادره الساق، انا قائد القطار. انت من تكن؟ وقال الرجل: ليس هذا من شأنك القطار يحمل اسلحة والاقتراب ممنوع.

كان القطار يخترق السهب مضاعفا سرعته، سباق الموت والحياة في اللحظة التي هبط فيها على السائق وحى اوحى له بان قطاره ليس اكثر من ثابوت مصفغ وضع فيها بشر سيسوقهم الى المقبرة.

الى ان يموت وتطويه الارض، سوف لن ينسى سائق قطار الموت نك الشهيد التشبيه بيوم الحشر والقيامة، لحظة ما وصل قبل الموعد المحدد وفتحت الابواب للموتى فانهاروا على ارض المحطة خارج اضناء الجحيم.

كانوا في النزع الاخير، مبللين بالعرق والقيء والشحوب والغنازات الخائفة والدوار وغياب الوعي وسود القار.

راهم يهيون كما تهوى الطيور المهبطة واكياس

القش، يتهدنون ويتخون.

– ما زالوا احياء.. قالها السائق لنفسه وهو يقتعد رصيف المحطة، من خلال دموعه التي انهرت، رأى الاهالي الذين وصلتهم الاخبار،

كيف انفقوا بجرار الماء الملثج ليسقوا العطاش

الشرقيين على الهلاك.

بوغت وهو يرى الطبيب يصرخ بالاهالي: ابعدوا الماء عنهم.

ذعر من الحكيم اللعين الذي يمنع الماء عن الرجال احياء، صحا من ردفته وصاح: انا انقذتهم من الموت وانت تريد قتلهم. اهذه انسانيتك؟

دفع الطبيب قبضتي السائق: اسمع يا مخبل!

الماء والثلج يقتلهم احضرنا لهم ماء مزرجا

بالمسح لتنعش الاملاح المرشبية في الخلايا ان

انتهت مهنتك وبدأت مهنتي.

واستطرد الطبيب، صح انا طبيب اما انت

فقساوي لك طبيب، لقد تحديت عزرائيل ايها

الرجل الطيب وانتصرت عليه.

رأى سائق القطار الحشود وهي تتوزع على

السجناء، يتقاسمون الادوار في الوصول الى

السجناء كل حسب ما ينبغي ان يقوم به من

اسعاف غذائي، وشاهد وهو في حالة استغراب

ان العشرات يتوافدون لينظمو الى الحشد وهم

يحملون المؤن...!

وما اثار شديد استغرابه ان افراد الشرطة التي

رافقت السجناء في القطار، لم تخفي تعاطفها

معهم مبدئين الود وهم يحملون سياراتهم بالمؤن

التي جاء بها المواطنون ليتزود بها السجناء وهم

في طريقهم الى السجن نكرة السلمان الصحراوي

القابع على الحشود العراقية..

ويقول الروائي غائب طعمة فرسان في روايته

(المرجي والمؤجل):

ولكنك كنت لي كالجنيح العادي تبذل لي ظلام

عربات الحمولة لتلك القطار المنحدر خلسة

كألفعى الى صحراء الجنوب، ولانك ولدت

وتعيش، ولتعيش حياة لا يتم فيها ولا ضياع كان

على ان اقوم واعيش.. هكذا كنت اقول لنفسي،

وانا مدد في عربة بضائع مغلقة خائفة الانفاس،

حيث كان الهواء ائمن من الطعام والماء، وحيث

كانوا يجرؤون الشيوخ الى خصائص العربات

ليستنتفخوا الهواء الحياة فلا يموتوا كنا مكسجين

في العربة كالكياس، وكان من المفروض ان

ينقلونا الى السماوة، والمسافة بينها وبين بغداد تستغرق عشر ساعات تكفي لان تخنق اكثرنا قوة وشبابا يصلوا الى السماوة جنبئا هامة، الى هذا الحد، يا حسان، بلغ الحد احيانا ولكن سائق الجحيم، والدمار اما هذا الرجل البسيط صاحب

القطار وان يقطع المسافة خمس ساعات.

هناك يا ولدي اناس يصورون انفسهم سائقي قطار الامة والوطن، ولكنهم يسوقون قطارهم الى الجحيم، والدمار اما هذا الرجل البسيط صاحب

شرف مهنته، كما ابت كرامته ان يحمل في قطاره احياء، ليصل بهم موتى، فقرر مضاعفة السرعة.

ويقال كاتب المحطات مندهشة لوصول القطار قبل الموعد المحد له، ولم يعبأ سائق القطار بذلك وسار مقداما حتى وصل الى السماوة فقفز من قاطرته وصرخ للناس:

يا تبه يا تبه، عندي الف وخمسمئة رجل سيموتون من العطش بعد ساعة، اذا لم تهرعوا اليهم بالماء الغذاء، وهرع الناس الطيبون اليهم، كل بما في بيته، ونجا الركاب من الموت المخبط لهم، وان ينجسوا من التعذيب لتك تاريخ بشع لا اريد ان اسوقه اليك وعندما ستكبر ستعرفه وتأخذه لعبرة، لقد ولدت في سنة من اشنع السنين.

هل بقي في ذاكرة العراقيين من اجيال ما بعد تلك المرحلة المأساوية، الوقائع التي تفضح الكاذب والدعوى التي تداولها البعثيون وبعض القوميين على مر السنوات، بل حتى الآن وهم يبررون ارتكاباتهم اثناء حكمهم الاسود بعد ٨ شباط، ثم بعد استيلائهم على السلطة في انقلاب ١٨ تشرين ١٩٦٨ وعلى امتداد حكمهم حتى لحظة سقوطها في ٢٠٠٣ من أن التعذيب والاعدام والتصفيات التي رافقت الانقلاباتهم، منذ صبيحة ٨ شباط وطاولت الشيوعيين، انما لانهم كانوا من مركبي الجرائم ضدهم في فترة ما يسومونه بالمد الاجسر، أو من الذين قاموا ب

انقلابهم الدموي وقاموا بتعذيبهم في المعتقلات وتسبيبو بسجنهم..؟

هل في ذاكرتنا الجمعية عد القلتى والسجناء من البعثيين وانصارهم طوال الفترة الممتدة من ١٤ تموز الى ٨ شباط. ومتى تولى الشيوعيون ادارة أجهزة الامن والخبايرات والمؤسسات المقعية الأخرى. بل هل صحيح ان الحزب كان يقود سلطة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم، ولو لفترة قصيرة، الا اذا كان نفوذ الحزب في الشارع هو المقصود بحكم الشيوعيين؟.

مع العلم ان شعار «حزب الشيوعي في الحكم مطلب عظيم» وهو شعار رفعته الجماهير في المظاهرة المليونية بمناسبة عيد العمال، بمبادرة منها دون تخطيط من قيادة الحزب وهو ما كان من بين اسباب الافتراق مع قاسم واستمرار تدهو العلاقات بينهما بحيث خدمت السجون والمعتقلات عشرات الآلاف منهم، رغم استمرار الحزب في رفع شعار:

تضامن كفاح تضامنا...!

وفي قطار الموت وجه من وجوه الحقيقة التي تفضح كل تلك الادعاءات:

كان جميع ركاب قطار الموت من سجن رقم واحد من الذين تم اعتقالهم قبل الانتفاضة ببضعة اشهر، عشية انقلاب ٨ شباط ولم يكن لاحد منهم علاقة او مساهمة في انتفاضة ٣ تموز، بل لم يتم اطلاق سراحهم يوم الانتفاضة، وكان من شأن نك تغير موازين القوى لصالح المنتفضين.

وهم من اخبرهم شذاد الافاق من قادة انقلاب شباط، لاعمان في الانتقام وتعظيم الربع بين اوساط المناضلين وعموم العراقيين. وتك كانت هوية واهداف الانقلاب الذي لا بد من اعتباره، المنعطف التاريخي الحقيقي لكل ما اعقبه من تحولات سياسية، وحروب وتدمير للبننى

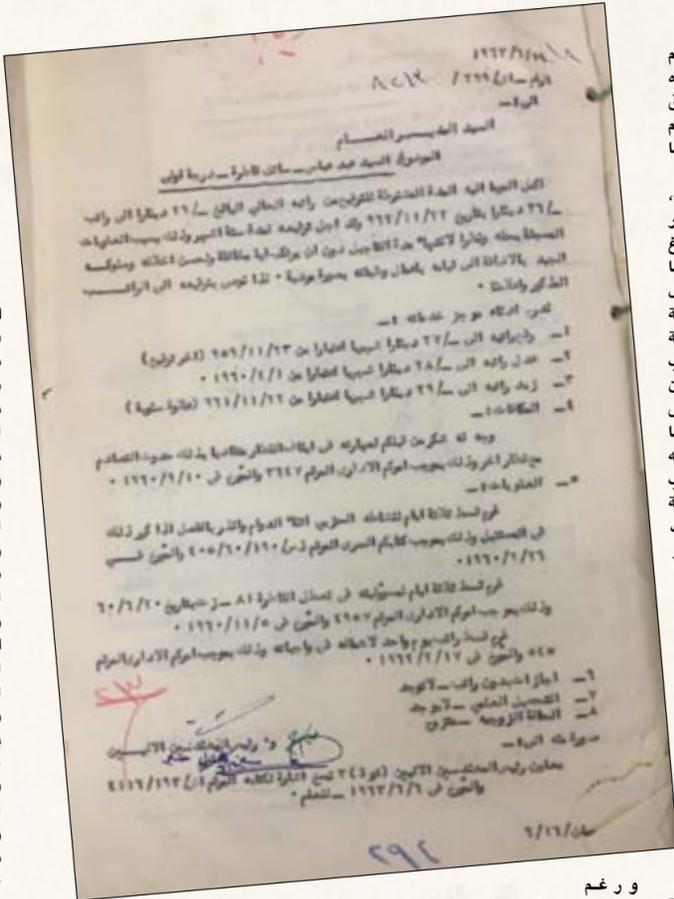
وتصفيات طاولت عشرات الآلاف من خيرة نساء وابناء العراق وارتكابات لم يسبق لاقول لنفسي، تاسيس الدولة العراقية في اوائل عشرينيات القرن الماضي. ومجرد استعادة المراحل التي اعقبت تلك الجريمة، يتضح انها كانت الاساس

لانتجتفخوا الهواء الحياة فلا يموتوا كنا مكسجين في العربة كالكياس، وكان من المفروض ان

ما انتهت وأُلت إليه اوضاع البلاد ونظام الحكم فيه، من إفكار وفساد وتبعية وسطوة لاتبناه بشر، وانحطاط للقيم ورفائنة تكاد تختنق المجتمع، وتأتي على ما تبقى من صروح العلم والمعرفة والتعليم في ظل نظام يعيد انتاج ما بدأه البعث منذ انقلابه في ٨ شباط ١٩٦٢ .

وقد أخذ قرارات الاعدام الجماعي بوضوح، على طابعه الانتقامي من القوى والعناصر الوطنية، العسكرية والمدنية، بدافع افراغ المجتمع وتصفية الحركة السياسية من كفاءاتها الموصوفة، وإضعاف قدرتها على رفد نضال الشعب العراقي لتحقيق تطلعاته الوطنية في نظام ديمقراطي تعديدي يحقق له الحرية والعدالة الاجتماعية وينتصر لحق الشعب الكردي في اطار النظام الاتحادي ، ولتمكين البعث من الاستمرار في بسط نفوذه وتكريس سلطته العاشمة والانفراد بها، وتنفيذ سياساتها الغلامية الفاشي على الضد من ارادة الشعب وتطلعاته. وهذا ما فعله البعث وقيادته الممثلة بالكر وصدام حسين ومن والاها بعد انقلاب ١٩٦٨ ان تحقق لهم ما ارادوا من هدف مباشر تمثل في اعادة الاعتبار للبعث و تجاوز جرائمه «ضد الانسانية، بما اتخذوه « ذرا للراماد» من قرارات مخادعة داخلية وخارجية «كان الهدف منها، تبرة لانتهم وتبييض تاريخهم الديموي الحركة الوطنية وبشكل خاص الحزب الشيوعي الذي تعرض ل٨ شباط الى اكبر حملة تصفية دموية وسياسية، والحركة الحزبية الكردية التي تعرضت في الأخرى الى حروب منضلة من السلطات المتعاقبة، وتكدت الألف التضحيات، وفجعت بمجزرة حلجية والانفال وسواهما من جرائم ضد الانسانية، لتصبح في نهاية المطاف ضحية اتفاقية الجزائر التي ابرمها صدام حسين

مع شاه ايران. وتخلّى بموجها كئثم لتصفية الحركة القومية المسلحة آنذاك، عن شط العرب. حين أصدر الحاكم المدني للاحتلال پول بريمر قرار اجتثاث البعث، كرسبت مقاتلي الانتقحية ضد القرار، مؤكداً على ان مواجهة البعث ونظامه الاستبدادي، واستباحثانه لا يتم عبر قرارات ادارية، وإنما من خلال طائفة من التوجهات الفكرية والسياسية والإعلامية التي تشترخ طبيعة البعث الفاشية ونظامه واهدافه ونوازعه وبوره. وأكدت كما ورد في عنوان المقال، على الإجدركان يتمثل بإصدار قرار به،اجتثاث الاستبداد، مستدركا ، ان اجتثاث الاستبداد، لا يد أن يستند الى قاعدة قانونية يكرسها الدستور، وهو ما يتطلّب أن يوطر « النظام السياسي الديمقراطي . ولم أكن بما اقترححت اهدف الى تزكية حزب البعث وقيادته وادواره المشبوهة ، وإنما كنت أنطلق من ضرورة ارساء اسس تكون كفيلة بمنع امرار استبداد جديد يعيد انتاج ما عانى منه العراق وشعبه وقواه الوطنية طوال عقود اغتصاب البعث للسلطة بشكل خاص . وهو ما لم يحصل كما هو عليه واقعنا المرير اليوم، ان اصبح الدستور «حالة اوجه»، وقلّت القوانين النافذة اليوم، بطابعها المتعارض مع تطلعاتنا في حماية حقوق المواطنة المتسيدة وما يرتبط بها من عدالة اجتماعية ودولة قانون ومؤسسات ديمقراطية، هي التي تؤسس لكل ما يتعرض له العراق والعراقيين من انتهاك حقوقهم، وتهميش اراتهم، وإعادة انتاج الفساد والنهب المنظم، والاسلح المنفلت خارج اطار الدولة ومؤسساتها الشرعية، وبقاء رموز الفساد وتمزيق نسج المجتمع والارتكابات التي ظلت تسجل ضد مجهول، بما في ذلك تسليم ثلث مساحة العراق الى داعش الارهابي والتسبب بخسائر افراحة في ارواح والممتلكات، وتحويل العراق الي نموذج في ذيل حتى اكثر الدول تخلفا وفسادا وترابجا في كل ميدان، الصحة والخدمات والتعليم وسوى ذلك مما يدخل في اساس التقدم والتطور الحضاري.



و ر غم

كل ذلك فان الرموز والقيادات المستقرّة بوقاحتها تظل في صدارة المشهد السياسي والحزبي، وتلوّح بسطوتها وتمارس دورا من خلف الستار لإعاقه اي امكانية لمعاقبة العراق، والاقتصاد من مرتكبي الجرائم واللصوص النهائيين. كان يقيني وانا اكتب مقالتي ضد قرار بريمر، ان ظروفنا تؤسّر الى امكانية ان تكون في مواجهة اوضاع تتبدد فيها احلامنا، وان قرار الاجتثاث سيثير الهلع في صفوف مئات الالاف ممن انظفوا الى البعث تحت شتى الاسباب، دون ان يكون الايمان به من بين تلك الاسباب، في حين سنفلت القيادات والكوادر التي ظلت حتى اللحظة الاخيرة ادوات اجرامية بيد صدام حسين بايمان من الاجتثاث والمساءلة ، سيستلّون تحت مختلف الشعارات التي قلب السلطة وقمة هرمها وينفذون الي كل مؤسسات الدولة الال دولة، سواء «تعمّوا»، و«التواء» أو «تشيّعوا»، ويصبح كل عراقي رهينة لهم وموضوع تهمةيش واقصاء.!

هل كان عليّ ان اخضع لعواطفي واتجاوز قيمتي، واستجيب لدواع الانتقام والتصفية كما فعل القادة الذين «انتقوا» ركاب قطار الموت وكانوا في وداعهم في مشهد يجسد نزوعهم المجرّد من كل زعة انسانية، بل قد تتجاوز ما تتصف به بعض الحيوانات المتوحشة.. لقد ضاع حقوق مئات الالاف من ضحايا النظام السابق، لان بريمر والقيادات المتنفذة لم يمدوا كفؤا لرفضوا اعتماد العدالة الانتقالية، ليضع كل من انتهاك حقوق الانسان واستباح كرامته امام القانون. هل كان هذا ممكنا؟

كيف ذلك والقيادات المتنفذة في كل مفاصل القرار، ومجلس النواب يصير على ابقاء القوانين والتشريعات التي اعتمدها النظام السابق.؟ وماذا عن ذاكرة الوطن المستباح..؟ انها كما يبدو في حالة عجيوبة قد يودي بها اذا لم تستيقظ الي الانطفاء.!

ان الذاكرة الجمعية تقرض على كل وطني حرص على مستقبل بلاده وحماية شعبه من

واطروحاتهم..!

ان الذاكرة المطلوبة لا ينبغي ان تكون «شبهيرية» و «سقيطية»، تعتمد تلفيق الوثائق والوقائع، وليس عليها ان تتناول حتى سيرة من لم يعد يشكل في ممارساته وسلوكه خطرا على الذاكرة الوطنية، ولا يدعي خلاف ما كان عليه.

لقد باتت ذاكرتنا في حالة سيات، يُخشى عليها من الانطفاء، وربما يسىء البعض من المناضلين واسر الشهداء الظن كما لو ان نسيان استتكار مآثرهم انما هو موقف مقصود..!

ليس ذلك كله نسيان، أو عدم وفاء، بل هو عطب في الذاكرة، والتكران فيه مجرد سهو غير مقصود..

هل يكفي هذا لاشعار عائلة عبد عباس المرجي بوفائنا لبطولة ومآثرة والدهم، والمئات من اباطل استشهوا، وتعذّبوا، وعانوا هم واسرهم من مرارات كانت تبدو تجاهلا وعقوقا..؟

وهما ان الذاكرة الوطنية تعبر عن فخرها وتمجدها، لمن كان من «حمولة» قطار الموت الذي صار بفضل جسارتهم وبطولاتهم ومآثرتهم «أيقونة» من ايقونات الوطن. وهما الذاكرة تستعيد بطولة يحيى نادر الصغار، الشهيد الوحيد من قطار الموت الذي قضى خنقا، واعد من محطة السماوة الى مواء الاخير..

لم ينتهي المشهد المساموي بعد النزول في محطة السماوة ، بل كان على السجناء قطع الطريق الصحرابي الحارق الي سجن نكرة السلمان

وضع ضباط الامن المرافق للقطار ، الاصفاد في يدي سائق القطار عبد عباس المرجي لسيان الي بغداد حيث التحقيق والاعتقال. لكنه يتنكر فيما بعد بعض من كان في قطاره المحموم في الثالث من تموز ١٩٦٢ .

وهؤلاء بعض من استعاد نكرامهم، وتمثّل مآثرتهم:

- الضابط محمود جعفر الجليبي / عضو محكمة الشعب معتقل في سجن رقم (١) وسجن بعقوبة ونقرة السلمان.
- الضابط لطفي طاهر/ شقيق المرافق الضابط الشهيد وصفي طاهر.
- الضابط ساجد نوري / حماية الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم.
- الضابط نوري الولة.
- الضابط حسن عبود.
- الضابط غضبان السعد.
- الضابط غازي شاكر الجبوري.
- الضابط ابراهيم الجبوري.
- الضابط عبد السلام بلطة.
- الضابط الطيب رافد صبحي اديب.
- الضابط الطيارعبد النبي جميل.
- الضابط الطيار حسين علي جعفر.
- الضابط طارق عباس حلمي.
- الضابط عزيز الحاج محمود.

و من المدنيين: مكرم الطالباني - عزيز الشيخ محمود ، عبد الوهاب الرحبي ، كريم الحكيم ، الدكتور احمد البامرني ، علي حسين رشيد ، جميل منير العاني ، شاكر القيسي ، حامد الخطيب ، فاضل الطائي ، عبد الصمد نعمان ، علي ابراهيم .

هل في ذاكرة العراقيين اليوم بعضا من مآثر هؤلاء الابطال.؟

اننا اذكر بفخر انني شاهد على بعض تلك المآثر. لعلي استطيع الكتابة عنها في المذكرات المؤجلة.

رحل عبد عباس المرجي اول سائق قطار عراقي، عام ١٩٧٧ ، بو صار رغم بعض التكران رمزا للمآثر الزمن المضيء رحل الي مواء الابدي بعد ان شمع اعتقالا ومطاردة وسجنا . وقيل انه مات شموما بعد ساعات من اطلاق سرحه . انتنص ايها الاسم المبتشر بين الاسماء، فقد رحلت قبل ان ترى الزمن جميل وهو ينطلي .!

نحن من يدري ايها الجسور المتقاني ، فرما سنموت من من شدة اقدر ابنا حين لا يبقى من يتذكرنا بكلمة وداع .!:

قطار الحمولة ... الى اين تمضي براكبك الميتين

رحلة الموت الى السماوة .. سائق اشهر

قطار عراقي ينقذ ارواح السجناء

هكذا، فجأة، تحولت خمس عشرة عربة من قطار حمولة قديم يستخدم لنقل الانعام والماشية والاحشاب والحديد، الى قطار موت ورعب، قاده المرحوم عبد عباس المرجي (اقدم سائق قطار عراقي) من المحطة العالية في بغداد الى السماوة، في رحلة غرائبية، اختصر زمنها من عشر ساعات الي ستة (فرون) حمر مشحونة بكل اصناف الالام والربح والضياغ، ومليئة بالمخارجات والمعجزات الكبار التي حالت دون وقوع ايشع جريمة سياسية واخلاقية في تاريخ العراق الحديث والقديم في أن واحدا!:

رحلة (اعتيادية جداً)

قبل (٤١) عاماً، في ساعة متأخرة من ليلة ٣ على ٤ من تموز عام ١٩٦٢، استيقظ (عبد عباس المرجي) على وقع ضربات صاخبة على باب بيته الواقع في حي العباسية - بغداد/ كزادة مريع. فتح الباب على عجل، وقلص عينيه ليتعرف على ضيوفه الطارئین، في تلك الليلة التي سيبتكرها طويلاً، حتى بعد موته!

كان لقلعاً على مصير اخيه (المعتقل) وسط احداث رهيبية عصفت بالعراق في صبيحة ذلك اليوم الذي شهد اندلاع حركة (حسن سريع) في معسكر الرشيد.. وكان كل ما يعرفه، شأنه شأن العراقيين جميعا هو ان انقلاباً جديداً قد وقع، وان الموقف ما زال ضبابياً.. ولكنه فوجئ بمفرقة من حراس المحطة العالمية تبلغه عن رحلة مفاجئة تتطلب حضوره على الفور. لقيادة قطار حمولة، يحمل (عبود حديدية خاصة) الى السماوة.. فرك عينه كثيراً وهو يتبين البلاغ الطارئ وينقص وجوههم، ورأى ان تلبية نداء الواجب اصوب من نومة قلقلة لساعات اعتاد على ضياعها المتكرر.. ولذلك جهّز نفسه على الفور، ونهب بمعية الفرقة الي المحطة، ليتسلم تعليمات رحلة (اعتيادية) الى السماوة تستغرق اكثر من عشر ساعات (ستصبح رحلة وحشية اجرامية بعد ساعتين فقط)!!..

قلق

في العادة، كان عبد عباس المرجي يذهب، حال وصوله الي المحطة في رحلات تكتله، الي ماوى القاطرات لجلب القطار وحده (بدون عربات)، ويتجه به الي محطة غربي بغداد لغرض ربطه بالعربات التي عادة ما تكون جائمة هناك، ولكنه لاحظ، للمرة الاولى ان العربات كانت منقولة ومربوطة بالقطار، وان اوابها مضروبة (سير وربد)، وعندما تسلّم (الالين كلير) انتبه ان حراس القطار لم يزودوا بمفاتيح اقفال العربات، وان المحطة تبدو خالية من العمال المدنيين، كما لاحظ، وهذا ما جعله يفرّغ عن فرك عينه المتكرر والمؤرّب، في تلك الليلة كان عبد السلام عارف وطاهر يحيى ورشيد صلح التكريتي ومصطفى الفيكسي) حديق سائق القطار ايضا في وجوده الحرس، ولاحظ حركتهم الخجولة وازياعهم المدنية المنتحلة وانهم في حلقة تكريية، بسبب عدم ائقائهم لإرتدائهم، وادرك بظفرته ان من ارسلهم بهذه الازياء يهدف الي الاعماعن في التمويه، لكي يظهر او يظهر عمال وفلاحين من ابناء منطقة

عبد الكريم العبيدي

احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وعبد الغني الراوي وعدد من العسكريين الآخرين.

وفي الاجتماع الثاني الذي عقد مقر وزارة الدفاع ايضا، كان الاقتراح الاول هو اعدام جميع الضباط والمدنيين المعتقلين في السجن العسكري رقم واحد، ويقدر عددهم بأكثر من الف معتقل! وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة اتفق الجميع على تشكيل (محكمة عسكرية) لمحكمة المشركين والمتهمين بحركة حسن سريع العسكرية، والغاء فكرة الاعدام العشوائي وتقليصها الي مجزرة دموية (محددة) تشمل اعدام عدد من الضباط والمدنيين من السجن رقم واحد.. ولكن العدد تضاعف فيما بعد ووصل الي (٥٢٠) معتقلا من داخل السجن وخارجه المذكور، بعد ان شمل معتقلين من ذوي التعليم العالي يمثلون كل خريطة المجتمع العراقي القومية والدينية والسياسية، تم انتقاؤهم من قِبل المجلس نفسه، وشكلوا ما عرف بـ (ركاب قطار الموت) حين تقرر اعدامهم خارج بغداد، بعد نقلهم الي سجن (نقرة السلمان) قرب الحدود العراقية السعودية.

شنائم وتشجيع!

وفي تلك الليلة التمويهية الساخنة، سمع المعتقلون في سجن رقم واحد - وفي غيره من السجون طبعاً - حركة واصواتاً غريبة تتصاعد.. ثم فُتحت ابواب الزنانات الواحدة تلو الأخرى، وتليت قوائم بأسماء عدد كبير من المعتقلين.. بعدها قام حرس السجن بجمع المعتقلين على الرصيف، وتم ربط ايديهم بالرجال خلف ظهورهم وراح الضباط (الاشاوس) يكيلون الشنائم والامانات، بينما كان ضباط الصف يهمسون في آذانهم بعبارات التشجيع اثناء عملية الربط، التي تعمدوا ان تكون خفيفة! ثم دفعوا بعدها الي عربات نقل عسكرية، اتجهت بهم الي الطرف الآخر من بغداد، وعندها ادركوا ان حركة السير تبدو طبيعية، وان الحياة ما زالت هادئة، على عكس تصوراتهم حول ارتباك النظام واضطراب الحياة، وهذا ما زاد في احباطهم!..

وبمجرد ان لاحظوا ان العربات الناقلة تتجه بهم صوب المحطة العالية، اعتقد اغلبهم انهم ذاهبون الى ساحة الرمي في ام الطويل!

الاعدام خنقاً!!

وصلت عربات، النقل العسكرية الي محطة القطار قبيل منتصف الليل، وهناك قضى المعتقلون وقتاً طويلاً ووقفاً امام المحطة، ثم فوجئوا بالحراس يقتادونهم نحو قطار حمولة لنقل البضائع، يتألف من عربات تشبه الاسطبل، او (طولة) حيوانات، محكمة الاغلاق، عارية الا من القار الساخن جداً.. شحنت (البضاعة السياسية) المؤلفة من خيرة شباب العراق بعد ان فُتق قيودهم وارتبطتهم من (كلبجات) واسلّاس من حديد، وظلت حبال القنب التي ربطت حول ايديهم من قبل ضباط الصف تتحسروا منها بسهولة، ولكنهم شعروا بالرعب بروح الانتقام، اجتماع خاص لما يسمى بـ(الجلسة بالوطني لقيادة الثورة) لدراسة احداث (حركة الرشيد العسكرية) واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها، وكان عبد السلام عارف اول المتحدثين بضرورة الانتقام العشوائي، يقف وراء كل من



قطار الموت بسيط، لتبدأ أشهر رحلة اجرامية في التاريخ العراقي، حكمه على ركابها الافذاذ بالإعدام (خنقاً) و (شياً) قبل ان تنتهي في السماوة، وقبل ان ينقل ضحاياها بالباصات الي نقرة السلمان على بعد (٤٠٠) كيلومتراً! التفاصيل

ومن ركاب هذا القطار :

- الضابط محمود جعفر الجليبي / عضو محكمة الشعب معتقل في سجن رقم (١) وسجن بعقوبة ونقرة السلمان .
- الضابط لطفي طاهر/ شقيق المرافق الضابط الشهيد وصفي طاهر.
- الضابط ساجد نوري / حماية الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم .
- الضابط نوري الولة .
- الضابط حسن عبود .
- الضابط غضبان السعد .
- الضابط غازي شاكر الجبوري .
- الضابط ابراهيم الجبوري .
- الضابط عبد السلام بلطة .
- الضابط الطيب رافد صبحي اديب .
- الضابط الطيارعبد النبي جميل .
- الضابط طارق عباس حلمي .
- الضابط عزيز الحاج محمود .

اما من المدنيين الراكبين فكان /

- مكرم الطالباني - عزيز الشيخ محمود ، عبد الوهاب الرحبي ، كريم الحكيم ، الدكتور احمد البامرني ، علي حسين رشيد ، جميل منير العاني ، شاكر القيسي ، حامد الخطيب ، فاضل الطائي ، عبد الصمد نعمان ، علي ابراهيم .

هذه الرحلة التي عاشها هؤلاء المناضلين الذين لم ينلّس اليهم فرد من الحكومة ليكرمهم تكريماً اجتماعياً و لم يذكرهم احد من صحافيينا او كتابنا او محطاتنا الفضائية وعرضهم الي الشعب العراقي والعربي ليتعرف عليهم وينظر على ما عانوا .

قصة

البراعة في احتمال الأذى

حسب الله يحيى

ضمت سنوات طويلة و السيد عبد عباس كان قد اعتاد على أداء عمله سابقا للقطار المنازل من بغداد إلى البصرة بشكل منتظم وتقليدي ،ومستجيبا لكافة التعليمات التي توجه إليه . إلا أنه وفي هذه الليلة من تموز الالاه ، تم إبلاغه بان يلتحق بعمله فورا ، فهناك محاولة يستدعي وصولها مساء الغد إلى البصرة . لم يتخلف السيد عبد عباس عن الحضور إلى المحطة التي ينطلق منها إلى القطار كان الجو الالاه قد انكسرت حدته ، ولاحت في الأفق نسائم خفيفة يتوق المرء للثوم عند هبوبها .

كانت به رغبة ملحة للثوم إلا أن الأوامر كانت تحول دون تحقيق رغبته وصل المحطة عند منتصف الليل وجد كل شيء معد للرحلة فالعربات موصدة ومحكمة الأقفال وليست مهمته السؤال عن حمولته وكل ما هو ملزم بتنفيذها يعتمد على قيادته للقطار وبالسرعة المعتادة . وعلى الرغم من ملاحظته حركة غير اعتيادية في المحطة ، وان هناك من صعده إلى عدد من العربات المكشوفة السقوف بملابس ريفية إلا أن الأمر لم يكن ليشتغل ذهنه .

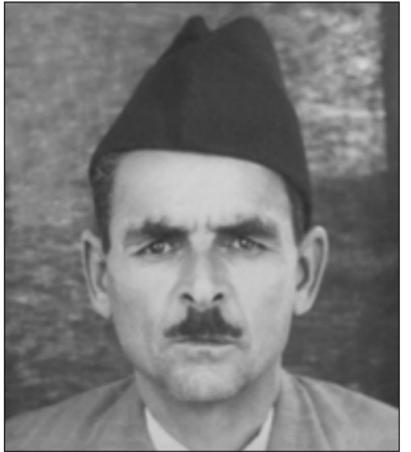
وترقب أن تعطى له الأوامر من مدير المحطة لبدء الحركة كان الوقت يقترن والأربعة والصفه فجزا ، عندما بدأت ضجة الحركة في قيادة القطار ، وانتشر الضجيج إلى سائر العربات بحيث أصبح السيد عبد عباس في وضع لا يمكنه من سماع صوت مساعده الذي كان يقف إلى جانبه. كان القطار يسير وبثدا ، يئن من الصدا ، ومن قتل ، ومن حمولة غير معهودة في الداخل لا يعرف السيد عبد عباس ما الذي تحتويه .

لكنه فوجئ عند توقفه في محطة (المحاويل) بشباب حدد عمره بالثلاثين عاما يخاطبه :

..خالي .. تعرف حولتك ليست حديد بل بشر..هم من خبرة الناس ؟! كان صعود الشباب إلى مكانه غير مألوف ، فلما سائق القطار مكانته وحصانته وليس لأحد الحق في التدخل في شؤون عمله .. لكن الأمر هذه المرة كان قد تجاوز المألوف ووقع في الضرورة والواجب والإنسانية والموقف .. وقيل أن يرجع ما سمع ، سمع ثانية :..أخي حولتك ليست بضاعة .. أنهم سجناء تنبه إلى النداء الملهوف والشغوف والمتوسل والمقهور .. ناسي مساعدة :.. انذهب ،تأكد من الموضوع ، كان المساعد قد سمع تلك النداءات المضمنة وكانت به رغبة حقيقية لمعرفة ما يحدث في عربات القطار تقع ضمن مسؤولياته الإنسانية لا القانونية تخلى عن القوانين جميعا وكانت الرحمة تحط في قلبه كشععة مضيئة .. أياد غليظة قال لهم انه مساعد سائق القطار سجنوه إلى مكان .. عاد يركض صارخا :..جعل الكلام صحيح .. هناك بشر في العربات بشر وليست بضاعة ! أترك السيد عبد عباس انه ينقل جنازات بالجملة وان قطاره محمل بالموت الحتمي .. ذلك انه يعرف جيدا طبيعة تلك العربات التي تتحول إلى جمر في ظهيرة تموز فكيف إذا كانت قد طليت بالفار حماية لها من الصدا ؟! كانت شمس تموز في وسط السماء تسطع لهيبا وتختقن الهواء ، وتمتع تنفسه وفكر في وسيلة ينقذ بها السيد عبد عباس حمولته لم تكن مفاتيح العربات بين يديه ، وممنوع عليه فتحها إلا من قبل مدير المحطة المعنية والسرعة محدودة .. لم يكن يملك سوى الخيار الوحيد أن يجعل القطار ينطلق بأقصى سرعته أن يصل قبل موعده بساعات .. ولا شأن له بما سوف يحدث من تقاطع مع قطارات أخرى فما سيدرك ليس أسوأ مما هو مرشح للحدوث وبشكل مؤكد .. كان السيد عبد عباس يعرف جيدا كيف هو الحال داخل تلك العربات .. وكيف يمكن للمرء أن يتنفس وهي محكمة الإغلاق لا نوافذ لها لانتباه القلق وأحس بالاختناق .. إلا انه اندفع بسرعة جنونية ساعده على اختيار العمل بها مساعده فهي الطريقة الوحيدة والتي ربما تفلح في إنقاذ من يتبقى من هذه الكائنات البشرية التي تخنق في العربات الحديد وهو ..هو من يدرك خطورة أن يحمل أحياء ويسلمهم أمواتا لا عليه من المسؤولية الوظيفية لا عليه مما يجري داخل تلك العربات .. مهمته القيادة ، إما مهمة موت إنسان فهي مهمة شاقية، ليس بمقدوره التخلي عنها .. حتى لو أنه لقي مصير من يحمل من البشر كل ما كان يدور في رأسه يدعو له إلى اختيار السرعة سييلا وحيدا لإنقاذ من تبقى كان القطار يتقدم نحو مدينة السماوة .. وعندما لاحظت له بعض ملامحها انتابه فرح غامر وهو يشاهد الأيادي تلوح من بعيد .. ليس معنى لديه أن كل هذه الأيدي تعرف بما حصل .. وقد تكون سباقية له في هذه المعرفة .. توقف القطار توجه جمع كبير من الناس نحو العربات لم يكن بمقدور احد فتحها لم تكن هناك مفاتيح لدى الحراس الذين كانوا يرتدون الملابس الريفية .. وهم في حالة تنكرية لحقيقة مهماتهم .. غير أشياء في حواسهم تيقظت وصاروا يبحثون عن سبل لفتح الأبواب .. بعيدا عن التفكير بأية مسؤولية مؤكدة ..هم الآن كيف يمكن إنقاذ هذا الحشد البشري المشجون داخل العربات .. وصلت قطع حديدية غليظة وصلت جموع جديدة من الناس تحمل قطع الحديد إلى جانب الماء والخبز الحار والخبز والجمع في كسر الأبواب فاستلقت جثث بالسكك تنفست تقدمت الأمهات يسقين والرجال يساعدون والأطفال يقدمون خدمات شتى كانت الفوضى تعم المكان ..

راحت أصوات تنادي :.. لا تسقوهم الماء البارد .. نحناج إلى ملح وماء دافئ راحت الأقدام ترضخ بانجاه البيوت لتعود حاملة الملح والماء الدافئ وراح كل يأخذ مجموعة ويعتني بسقايتها وإطعامها ..كان السيد عبد عباس ومساعدته في حالة ذهول لما يجري وكان الحراس قد تحولوا إلى منقذين لتلك الأرواح التي يشاهدونها أمامهم وهي تهوي .. ولا تقوى على الوقوف لم يفكر أحد بالهروب فالهروب عصي على الموتى وأشباههم من هنا اطمان الحراس إلى أن احد من السجناء لم يختفي والعدد كامل ، وبسبم التسليم والإسلام بالتمام والكمال .. شرط أن تظل العيون في حالة ترقب وانتباه فوجدوا بان احد السجناء عصي على الحياة وليس بمقدور احد أن يجعله يتنفس ويامن سلامته .. وانطلق مثل قنديل في ليلة عرس وتحول المكان من فوضى إلى قلق خشية أن تكون هناك ضحايا أخرى .. فالجسو حار جفاف لا يحتمل الأوصياء فكيف بهؤلاء الذين لا يقوون على مقاومة الموت أن يبقوا أحياء في هذا الجحيم ؟

كان الأطباء الثلاثة يراقبون السجناء بماثلون سواهم وليسوا بأفضل منهم كانوا يبحثون كذلك عن حياتهم حتى لا يفقدوا إلى الأبد ويزيدوا البتامة والأرامل وراهمه .. كانوا يحاولون الحياة ، حيا .. جعلهم يضحون من اجله باعز ما لديهم من الأمنيات وشغف المسرات كان الدكتور رافد أكثر رفاقه حرصا وبنائه واستعدادا للتفحصية ومتابعة وترقبها وتوجيهها واندفاعا في إدامة الحياة إلى أقصى مدى ممكن جعلهم يتحسون العرق النازف من اجسادهم جعلهم يساعدون بعضهم في حل القيود التي شتدتم إلى بعضهم بالحبال .. فوجدوا أن الحبال لم تكن عصية على الحل .. مما يعني ان البعض ممن ساهم في تقييدهم



كان يتعاطف معهم ويتفالع مع أفكارهم وأحلامهم وكانوا في العربات يتكثرون بالإسفلت ويصعب عليهم حتى الاتكاء على صفايح العربات اتكأوا على بعضهم بعضهم الدكتور رافد لا ينزعوا ملابسهم حتى يحتفظوا بالعرق ولا ينخفض ضغط الدم بعد فقدان الأملاح .. كما أقترح عليهم أن يتنفسوا شيئا من الهواء من الفتحة الموجودة أسفل بوابة العربة وفعلاوا ذلك بالتساوي بحيث لم يأخذ وقتا للتفكير أكثر من سواه .. ولم يفكر احد بالعيش مقابل أن يموت الآخر كانوا في البدء ينشدون ويغنون ويتحدثون في شؤون مختلفة إلا أن الحرارة التي راحت تبسط ظلالها فوق صدورهم جعلتهم يهيمسون وتتحول أصواتهم إلى كلمات متقاطعة ومن ثم حروف غير مترابطة وياتت الحركات النشطة تتلاشى شيئا فشيئا كان الإسفلت المتورني يذوب تحت أقدامهم يلتصق بها وتغوص جمراته في أعماق موعلة من تلك الأقدام التي لم تعرف أين تضع مستقرها وليس بمقدورها أن تظل معلقة في الهواء .. بعد أن توسلت القدم الأولى بالثانية حتى تبقى وقتا أطول .. كانت الأقدام تتقاسم الألم ترتفع وتكسر الأيدي الأخرى ، أخرى تصعد ثانية تنزل حاول الواحد منهم أن يكون عادي في اقتسام الأذى مع قدميه كان الواحد منهم يرك جيدا أن ثمة أقدام ثقيلة تريد سحقهم ، سحقهم تماما هكذا وبهذه الطريقة الجسيبة المبكرة .. حتى تحتفظ أقدامهم الصلبة بالزمان والمكان كانوا مجتمعها كاملا بينهم الضباط والقضاة والأطباء والمهندسون والعمال والفلاحون كانوا نخبة منتقاة في وعيها وإرائتها .. يجيدون الإصغاء ملثما يجيدون الكلام وقد تنتهوا إلى أنهم صفوة من مجتمع يجنبهم ويحبونه ومن يجب لأيد أن يضحى من هنا ويبدو أنهم أصبح صعب يعتمد على إنقاذ من فن الاحتمال .. البراعة في احتمال الأذى والبراعة في اختراع البقاء والبراعة في مواجهة الموت ووقفا كانت العربات تتوجع وتكاد تنفجر

خالد جبر

من طبيعة محتوى غريب عليها صفايح الحديد كانت في حداد تام على رحيل جماعي مرتقب لم تكن الصفايح تحتفل كل هذا الأذى كل هذا الأئين كل هؤلاء الرجال الذين يحتمون بأفكارهم ومواقفهم في مواجهة هذا اللعب المكتوم وبث صفايح الحديد أن تصافحهم ذابت من أذى وتوجعت من صدى الأنين وتنبهت .. وتنبهت إلى أنها تزيد من وقع الكارثة وفرحوا أحسوا بالوقع الزاهي للحياة .. وهم يسمعون نداءات استغاثة خارج العربات تهتف بهم :.. احتملوا .. احتملوا .. سننقذكم .. لم يكن أي واحد منهم يعرف مصدر تلك الأصوات .. لكنهم أدركوا أن هذه الأصوات قد علمت بشأنهم حال نقلهم إلى العربات وحال توقفهم في محطة (المحاويل) صغار الأمل مقدسا ، صارت الحياة نشيدهم لكن شمس تموز في الظهيرة كانت تحول دون الإبقاء على هذا الأمل وعلى هذا الإنشاد الجماعي الذي بات يخفت شيئا فشيئا مثل قنديل شععة ذنوب شيئا فشيئا وتقطر من دموع حارقة ألا أنهم استعادوا هذا الأمل عندما لاحظوا أن القطار راح يسرع ، ينطلق يريد أن يفلت من أسر السكك ويحلق في علو يستصحي على احد الإسماك به .. كان القطار يسرع .. يسرع .. يريد أن يهرب بهم كانت عملية الهروب هذه كما رسمها كل واحد منهم تعني أن السائق يبذل جهدا نادرا في إنقاذهم وفي جعلهم يفلتون من الموت ويهربون إلى الحياة مرت نسائم جافة من أسفل البوابة رفاقها أرباب خائق تخلى كثيرون عن أنوارهم في اخذ الشمعة .. استجاب آخرون بدت حيرة سحبية تنتابهم بين الاختناق بالتراب ، والاختناق بالجمر الذي يعينه الضفيح الحديدي لم يعد بمقدور احد مواساة احد ولكن بين لحظة وأخرى كان يقوى احد على مساعدة احد والأطباء السجناء الثلاثة احتاروا في مبادرات أنفسهم ومدارات سواهم لكن أكثرهم مقاومة على المقاومة كان الدكتور رافد : أخوان الحسوا عرقكم اشربوا عرقكم لا يدع احدكم العرق يسقط من على جسده اردوا قفصاتكم الحس عرق زميلك ودعه يلحس عرقك هذا هو السبيل الوحيد للبقاء أخوان أرجوكم أنا طبيب وسجين مثلكم .. حياتي مرهونة بحياتكم .. نحن جميعا نريد أن نعيش .. نحن نعيش الحياة

كانت عباراته متقاطعة ، ساكنة هادئة أحيانا ، هاربة من الاختناق والموت أحيانا أخرى .. ملحة متوسلة متعلقة بهامش الحياة ويدعو قطار الموت يدعو سريعا يخترق المجهول والأرض الجرداء والسماء الساطعة والسيد عبد عباس يزيد من السرعة إلى أقصاها . وثمة صفور تهرب من وقع الأصوات الحادة للقطار في ما كانت تشم رائحة ما من بعيد وراح البعيد يقترب ، وصار القرب يعني البقاء ، وصار البقاء يعني أن الأمل بدأ يكبر ويتسع ، وثمة ملامح للعيش بدت تقوى وكذلك من ركب تلك القطار الإسود كثيرة متلاطمة ومحتمة مثل سفينة ظلت طريقها في بحر صاخب وعمته لا نهاية لها ، ثم بدأ القطار يبطئ في حركته بدأ منهكا من مسافات الركنض الطويلة التي مارسها ، ولابد له أن يستريح الآن القطار كائن أبعثته الحمولة وأتعبته السرعة ، وصار جهده عصيا في حرارة تموز وفي مكان جفاف شغوف إلى قطرة ماء .ماء .ماء .ماء إلى لساء في أناء .. أو أناء في ماء .. لا ماء في أناء .. وصلت أصوات بعيدة إلى أذانهم اتسعت أذانهم لأصوات بدأت تقترب أصوات غير مفهومة صرخات . بدأت الكلمات تتوضح في الأذان شيئا فشيئا .أسر عوا . الماء ، الخبز ، الحليب ، التمر .. الطعام هيا .. كلمات تلحق كلمات عربة تسمع ، عربة تتلقى السمع قبل سواها فنقلته إلى عربة أخرى يهتف صوت :..ما زلنا أحياء أيها الأخوة . أحياء .. أحياء وتعلقت اجساد مجهولة بالعربات ، سقطت أخرى بعد أن اكثوت بحديد العربات وناضلت أخرى على البقاء محتلة جمره الحديد توقف القطار وبدأ العمل سريعا من اجل كسر الأبواب .. جاءت قطع الحديد من هنا وهناك .. لم يسأل احد أحدا عن ما يفعل .. كان الكل يريد أن يشارك في كسر أبواب العربات كانت العربات تريد أن تنفث كان السيد عبد عباس يتنفس بارتياح وهو يصل قبل الموعد المقرر له بساعات مما جعله يدرك جيدا .. نيل لم يكن يدري انه يقودهم إلى الموت فإذا به يقودهم إلى الحياة واستجابوا للحياة أكملوا براعتهم في احتمال الأذى شربوا الماء الدافئ في ظهيرة تموز تناولوا الملح نيفا واحتملوه شربوا معه الماء والحليب واسترخوا على جلد الأرض الجافة .. لم يحسوا بالاتكاء فقد اعتادت اجسادهم اكتواء أشد انقلوا إلى ظلال جدران مبنى المحطة صاروا قبالة مدينة السماوة قبلوا الأرض وسامها والناس الذين فيها أكلوا من كرم الأخرى أكل معهم حراسهم حجل حراسهم من مهماتهم ثم ضح المكان بالأسلحة الصلبة والوجه اليابسة والسيارات الرسمية البوليسية، أحاطوا المكان جعلوا ينادون الحراس لم يجب احد كان الحراس وحدهم قد هربوا كان السيد عبد عباس يحدق في الوجوه بصمت ويحس باطمئنان وراحة وفرح غامر فيما أخذت الوجوه اليابسة تتحول إلى أصفاء حديدية ، وتجر السجناء إلى عربات صغيرة محركات سيارات عتيقة وسط وجوه غاضبة محتجة تملأ محطة قطار السماوة .. ظلت الوجوه المحتجة تحدد في لهفة إليهم وفيها شيء من الاطمئنان وشيء من القلق بينما راحت المحركات الصاخبة تسير متوجهة إلى صحراء السماوة .



الحديث عن الدكتور رافد صبحي اديب له شجون وتكريات جميلة ، فكنت أزوره باستمرار في عيادته الخاصة الكائنة في الباب الشرقي . ساحة الطيران .مقابل كنيسة الارمن وبرفقة احد اقاربي المرضي والذي كان يشكو من امراض في المجاري والمسالك البولية وكان ذلك حو الي عام ١٩٧٥ وفي احدى المرات وجدته جالسا في عيادته ويمسك في يده الباليت وهي محملة بالالوان وامامه لوحة قد انجزها ويضع عليها اللمسات الاخيرة وانبهرت لهذه القابلية في مجال الرسم والالوان

وبعد ذلك اخبرته بانني رسام ولي ورشة عمل وقمت بين فترة واخرى ازوره واحمل احدى لوحاتي وكان يوضح لي بعض النقد عن الاسلوب والتاثر بالرسمين العالمين واهدى لي كتابا ملونا كبيرا عن الفنان العالمي (رامبراندت) وكان لايتكلم كثيرا بشوشا بسيطا انسانيا وكان لا يتحدث عن السياسة اطلاقا وقال لي في احدى المرات ان طريق السياسة طريق شائك وصعب ، وعندما نبحت في الارشيف الفني لهذا الدكتور الشهم سناه اعجوبة زمانه مع زملائه

الاطباء الذين ضحوا بحياتهم لخدمة العراق ، فهو الدكتور رافد صبحي اديب بايان كوردي الجنسية وكان من ضمن الموقوفين في قطار الموت الى نقرة السلمان مع العقيد الطبيب عبد السلام بالطله والمقدم الطبيب الفنان الرسام قتيبة الشيخ نوري والدكتور عبد الصمد نعمان والطبيب سعيد عزيز وفاضل الطائي وذلك بعد فشل ثورة النائب العريف حسن سريع في معسكر الرشيد وكذلك من ركاب تلك القطار الاسود العقيد ابراهيم الجبوري والعقيد حسن عبود والعقيد سلمان عبد المجيد والمقدم عدنان الخيال والمهندس الضابط عبد القادر الشيخ والرئيس صلاح الدين رؤوف والملازم يحيى نادر والضابط محمود جعفر والجبلي والضابط لطفي طاهر شقيق وصفي طاهر مرافق الزعيم وكذلك الضابط الطيار عبد النسي جميل والضابط الطيار حسين علي جعفر والضابط طارق عباس حلمي والضابط عزيز الحاج محمود واما عن المدنيين في قطار الموت:



رافد صبحي اديب في الوسط في سجن نقرة السلمان

رافد صبحي اديب وقطار الموت

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير



رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق



في نقرة السلمان على يد الزعيم المجرم عبد الغني الراوي ،وتم صعود المعتقلين في القطار في المحطة العالمية وهم لايعرفون مصيرهم وكان سائق القطار السائق عبد عباس المرغجي والذي هو لا يعرف ماذا يحمل في عربات القطار ، لانه تم التكتيم من قبل الحرس القومي عن كل المعلومات ولكن الطبيب البطل رافد صبحي اديب اعطى تعليمات لكل المعتقلين حول التنفس وعدم شرب الماء الامتزوجا بالملح من اجل المحافظة على الضغط وكان الموقف صعبا جدا وخاصة حرارة الصيف من شهر تموز ، وسار القطار ببطيئا حسب الاوامر وبعد ان امضى سيره بحدود ١٦٠ كيلو مترا اي بحدود منطقة المحاويل وبعد توقف قليل قام احدهم باخبار السائق عبد عباس المرغجي بان حمولة قطاره ليست حيوانات كما قيل له بل انهم اطباء وضباط وقادة ومن جماعة الزعيم عبد الكريم قاسم ، وبعد ان فوجئ بهذا الامر وشعر ان ارواح هؤلاء الابطال بيده وحده ولا بد ان يتخذ في اي محطة قادمة مخالفا الاوامر والتعليمات حيث وصل قبل الوقت بكثير الى محطة قطار السماوة حيث سبق الموت ولكن المعتقلين اصبحوا في حالة يرثى لها من التعب والارهاق والاختناق مما جعل بالضابط نادر جلال الذي فقد الوعي لصابته بمرض الربو وتوفي في ذلك الوضع الصعب جدا وقام اهالي السماوة بتقديم الحليب والماء البارد والتلح ولكن الطبيب رافد صبحي اديب منع شرب الماء البارد والمشروبات الغازية والماء الدافئ و الملح وقد تعالى بكاء النساء على الموقوفين ووضعهم الصحي السيء مما جعل المواطنين يشتبكون مع رجال الشرطة في مظاهرة مما جعل الشرطة ان تقوم بتأجير لوري كبير الحجم محمل بالرز والمياه والدهن والتمر الى سجن نقرة السلمان ويتم توزيع كل هذه الحصة على المعتقلين الابطال والذي كان يقود كل هذه المعاناة بحزم وصبر هو الطبيب رافد صبحي اديب مع اخوانه الاطباء والضباط الاحرار والمدنيين الابرياء.

الاخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

عبد عباس المفرجي

١٩٨٧-١٩١٤



المفرجي مع زوجته وابنائها علاء وعباس

■ ولد عام ١٩١٤ في كراة مريم منطقة العباسية
 ■ عام ١٠٣٢ وبعد اكماله الدراسة الابتدائية عمل في السكك الحديدية كمساعد سائق قاطرة علما انه لم يكن هناك سائق قاطرة عراقي والموجودين كانوا من الهنود والانكليز .
 ■ عام ١٩٣٦ كان من المنظمين لاضراب عمال السكك الحديدية الذي دعا اليه الحزب الشيوعي وكان في بداية تاسيسه وكان من المشاركين كريم احمد
 ■ في نهاية الثلاثينات اصبح اول سائق قاطرة عراقي
 ■ في نهاية عام ١٩٤٥ اسهم في تهريب عدد من كوادر المؤتمر الاول للحزب في قطار طوروس الى تركيا وكان من بينهم صديقه الشخصي عبد تمر.
 - كان على راس مظاهرات عمال السكك الحديدية في مظاهرات عام ١٩٤٨ والتي ادت الى فصله ومطاردته.
 ■ عام ١٩٥٠ عاد الى العمل كسائق قطار.
 ■ عام ١٩٥٢ وحين افتتاح جسر الصرافية من قبل الوصي على العرش، وكانت من مراسم الافتتاح عبور القطار، وقبل الافتتاح بساعات تخاذل السائق الهندي بقيادة القطار ورفض القيادة، فاستعانت السكك بالسائق عبد المفرجي لقيادة القطار وفعل ذلك



مع ابنه البكر المرحوم مظهر

يفصل من الوظيفة.
 ■ عام ١٩٦٧ عاد الى الوظيفة بامر من الادارة ليدشن الخط العريض الذي افتتح حديثا.
 ■ وخلال حكم البعث تم استدعاؤه الى الامن اكثر من مرة .
 ■ عام ١٩٨٧ تم اعتقاله لمدة يومين وعندما اخرج من المعتقل ليتوفى بعد ساعات من ذلك، وهو الامر الذي يؤكد اعطاؤه السم في السجن.

القطار الى نكرة السلطان وكان الحضور في محطة القطار هاني الفكيكي وشيد مصلح وعبد السلام ومصطفى الفكيكي، وامره بقيادة القطار بسرعة بطيئة ومحددة بحجة وجود بضاعة حساسة.. وصعد معه رجل امن الى القاطرة.. وعندما علم بوجود سجناء شيوعيين في العربات انطلق باقصى سرعته ووصل بهم الى السماوة.. وحيء به مخفورا الى بغدا ليعتقل ثم

وتم تكريمه من قبل الوصي.
 ■ شارك في كل التحركات الجماهيرية في الخمسينات، منها مظاهرات ١٩٥٢، ١٩٥٦.
 ■ عام ١٩٦٣ اعتقل بعد انقلاب شباط الاسود، لمدة قصيرة لحين القبض على اخيه فاضل عباس الذي كان نائبا لرئيس نقابة السكك عندما كان نقيبها علي شكر.
 ■ في تموز عام ١٩٦٣ تم الاعياز له من قبل الحرس القومي بقيادة

يحيى نادر الصفار.. شهيد قطار الموت الوحيد

الوحيد في هذه الحادثة المروعة!) لقد كان ذلك في يوم الرابع من تموز عام ١٩٦٣. ويجدر بالذكر، ان يوم تسفيرهم كان للشهيد يحيى موعد زيارة مع عائلته في السجن، لكن العائلة فوجئت بتحويله الى نكرة السلطان دون ذكر الاسباب، وقد سمعت العائلة ذلك بشكل سري، ومن اشخاص غير معروفة أسماؤهم، حيث أبلغت العائلة بضرورة تتبع القطار عسى ان تحصل على أخبار طيبة، لكن المؤسف أن كل المعتقلين سفروا لنكرة السلطان حال وصولهم الى محطة السماوة - باستثناء الشهيد يحيى- حيث ذكروا لهم أن حالته الصحية لا تسمح بنقله الى السلطان، لذلك تم نقله الى مستشفى الديوانية للعلاج، وعند وصولهم الى مستشفى الديوانية فوجئت العائلة باستشهاده، فتم استلامه (ميتا) بدلا من مقابلته حيا كما كان يفترض.. فنقل جثمان الشهيد الى بغداد في نفس الليلة، وفي اليوم الثاني نقل الى متواه الاخير في مدينته أربيل.. وهكذا ينقش البطل يحيى نادر قادر الصفار اسمه في سجل الخالدين.

المساهمين في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة، وهو ايضا من الضباط الاحرار.. كان البطل مؤمنا بأن العراق لبلده، وإن خدمة شعبه وأمته هما الاساس في مسيرة حياته. تدرج في المناصب العسكرية، وقد كان آخرها أمرا لمذخر تموين معسكر أربيل. اعتقل بعد فترة قصيرة من قيام حكم البعث في سنة ١٩٦٣، ليسفر أولا الى سجن أمرية انضباط كركوك، ثم ينقل الى سجن رقم واحد في معسكر الرشيد ببغداد، فيتعرض لشتى انواع التعذيب، كونه من الضباط الاحرار، فضلا عن مواقفه الشجاعة، وحمله مبادئ الوطنية العراقية الحرة. ولما قام البطل الشهيد (حسن سريع) بمحاولته الشجاعة لتحرير الضباط الاحرار من سجن رقم واحد، وعدم تمكنه من ذلك في حينها، قام مجرمو البعث بتفسير جميع المعتقلين في السجن المذكور على متن قطار الموت، ولكونه كان يعاني من الضعف الشديد، نتيجة التعذيب القاسي، وعدم تحمله الحرارة داخل عربات القطار الحديدية لم يستطع التحمل، ففارق الحياة حال وصولهم الى محطة السماوة (وهو الشهيد

بعد انتفاضة ٣ تموز الباسلة، التي قادها الشهيد حسن سريع، كان رد فعل الانقلابيين البعثيين عنيفا وسريعا، إذ قاموا في أول تلك الردود المتهوره، بارتكاب جريمة قطار الموت.. وكان نتيجة لذلك العمل المجنون، والخائف استشهاده الضابط الشيوعي يحيى نادر قادر الصفار، وهو الوحيد الذي استشهد في تلك الجريمة، إذ نجح الأهالي، والمناضلون بصمودهم، والأقارب التي وقفت الى جانب المناضلين المعتقلين أفضت الى عدم سقوط الكثير منهم.. فمن هو الشهيد يحيى نادر قادر الصفار.. شهيد قطار الموت؟
 هو الشهيد الرئيس الاول (رائد) يحيى نادر قادر الصفار، ولد الشهيد في مدينة أربيل عام ١٩٢٦ من عائلة عمالية، واتخذ اللقب من المهنة التي كان ابوه واجداده يمارسونها في المدينة.. ترعرع، ونما، وامل دراسته للمراحل جميعها في المدينة ذاتها.. ثم دخل المدرسة العسكرية والكلية العسكرية في بغداد لينتخرج منها في الدورة (١٧) وصنفته كان اداريا. متزوج وله اربعة اولاد (ولدان وبناتان). والشهيد أحد

عراقيون

